

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

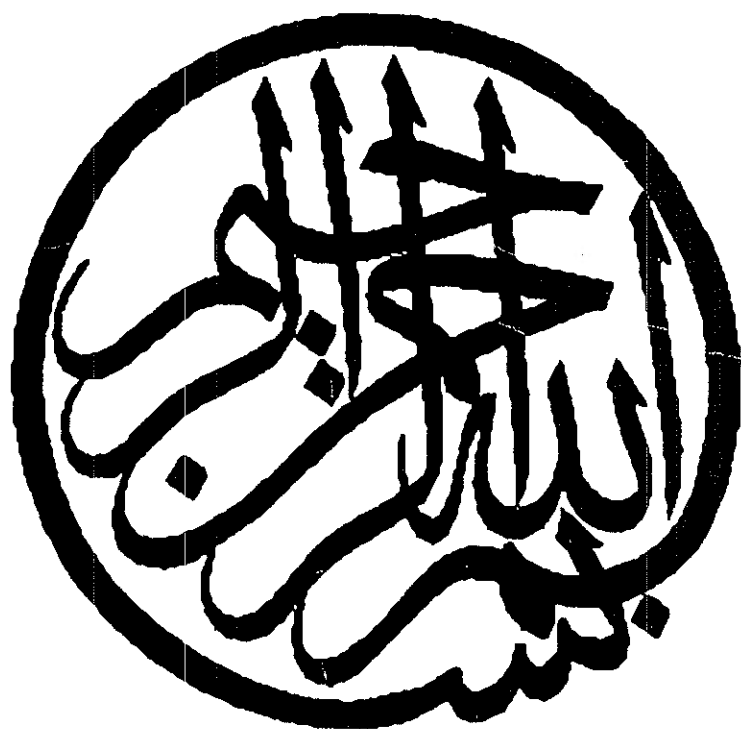
أهداف الاستشراق ووسائله

فضيلة الشيخ الدكتور / سعد آل حميد

جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية

أهداف الاستشراق ووسائله

فضيلة الشيخ الدكتور / سعد آل حميد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

تتداخل الدوافع ، مع الأهداف لتصبح شيء واحد ، فإن الأهداف التي أراد الاستشراق تحقيقها كان دافعها الأساسي ، أن رجال الدين النصراني رأوا قوة الإسلام دافعة لدخول فيه ، واستيلاء الإسلام على أرض كانت النصرانية هي الدين الوحيد فيها ، حتى أصبح النصارى قلة فخاف هؤلاء على مكانتهم ، ومكاسبهم الدنيوية ، والدينية ، مما أجج أحقادهم فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام ، من أجل النصرانية ، فكان هدفهم الديني يدفعه الدين وغايته معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه ، وإبعاد النصارى عنه ، ودعوة المسلمين إلى النصرانية ، فكان هدفهم الديني يقف على القمة .

أما الأهداف الأخرى ، التنصيرية ، والاستعمارية ، والاقتصادية ، ونشر الثقافة الغربية ، كلها تدعم وتساند الهدف الأول ، الهدف الديني .
وقد استخدم المستشرقين وسائل متعددة ، ومختلفة لتحقيق أهدافهم ، سأذكرها فيما بعد ، إن شاء الله تعالى - بعد أن أذكر الآثار المترتبة على أهداف المستشرقين .

أهداف الاستشراق

أولاً / الهدف الديني :

لقد كانت مهمة الاستشراق منذ نشأته تنقسم إلى قسمين ، الأول سياسي ، والثاني تبشيري ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف توجهت البعثات العلمية المسيحية إلى الأندلس ، والتي كان من ضمنها باباوات الكنيسة الذين سبق أن تعلموا في الأندلس .

وفي عام ١٠٩٤م - ١١٥٦م ، قام بطرس المحترم بتشكيل جماعة من المترجمين أوعز لهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ، فقد كان لا بد من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربتة محاربة جيدة على مستوى العقيدة ، فنكب المترجمون المسيحيون على ترجمة القرآن ، ودراسته ، من أجل نقده . (١) وتقديم صورة كريهة عن الإسلام ، تمكن الكنيسة من الاحتفاظ برعاياها ، والحيلولة دون دخولهم في الإسلام .

وقد كانت الكنيسة تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي ، الذي سرعان ما وصل إلى القسطنطينية ، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، وما أفرزه ذلك من ظهور عصر النهضة الأوروبية ، التي كانت هي الأخرى معول هدم في بنية الكنيسة ، والتفكير اللاهوتي .

(١) محمد . إسماعيل الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ص ٣١

لذلك لا يبدو غريباً أن تشن الكنيسة على الإسلام حرباً انتقامية ،
أداتها الاستشراق .

وقد أنشأت الكنيسة من أجل ذلك مؤسسات في البلاد العربية لخدمة
الاستشراق ظاهرياً ، وخدمة الاستعمار ، والتبشير الكاثوليكي باطنياً . (١)
ومن هنا يبرز الدافع الديني للاستشراق ، حيث رغب النصارى في تنصير
المسلمين ، والقيام بأعمال ، وأنشطة تبشيرية ، فبدلوا كل ما في وسعهم لحمل
المسلمين على ترك الإسلام ، أو ترك تعاليمه ، والتخلي عن اتخاذها منهج
حياة .

وبهذا الدافع كان إقبال المستشرقين على تعلم اللغة العربية ، وآدابها ،
ليتم لهم قراءة العلوم الإسلامية ، والتعرف على مبادئ الإسلام ، ومصادره ،
وشعوبه ، ووضع الخطط ، والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم ،
وتشويه صورته أمامهم حتى يسهل عليهم القيام بأعمال التبشير بينهم . (٢)
فانضمت بذلك حركة الاستشراق ، مع حركة التبشير لتكونا معول هدم
للإسلام ، وتنصير المسلمين .

فلما خابوا وخسروا ، وخابت آمالهم في تنصير المسلمين ، رسموا

(١) النعيم . عبد الله " الاستشراق في السيرة النبوية ص ١٩

(٢) محمد . إسماعيل " الاستشراق ص ٣٣

لأنفسهم خططاً ، وبنوا آمالهم على زعزعة عقيدة المسلم ، وتشكيكه بدينه ، وخلق فجوة بين المسلمين وأصولهم ، فيسهل بذلك القضاء على كيانهم الإسلامي .

وكما سبق ذكره في نشأة الاستشراق ، أن اليهود كانوا وراء حركة الاستشراق ، والتبشير فسموئيل زويمر الذي كان يرأس مؤتمرات التبشير من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢م ، قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه ، وذلك بأن طلب حاكماً يلقيه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره . (١) فإذا علم هذا ، وعلم أن هؤلاء المستشرقين هم في الأساس من أباء الكنيسة ، وتلامذتهم ، وعلم أيضاً أنه من الصعب على معظم المستشرقين ، المشتغلين بدراسة الإسلام ، وأكثرهم متدينون ، أن ينسوا ، أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في أديانهم ، ويبطلها بالدليل ، مثل عقيدة التثليث ، والصلب ، والفداء .

كما أنه من الصعب عليهم أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها . (٢)

(١) المحتسب . عبد المجيد " اتجاهات التفسير في العصر الراهن " ص ١١

(٢) ماضي . محمود " الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي " ص ٢١

ويمكن تلخيص الهدف الديني في النقاط التالية :

١- محاربة الإسلام ، وتتبع مثالبه وإبرازها ، والزعم بأنه يستلهم من النصرانية ، واليهودية ، مع تنقص قيمة الرسالة ، وقدر الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- حماية النصارى من الدخول في الإسلام بطمس معالمه ، وإخفاء حقائقه .

٣- حملات التنصير والجهود المبذولة في محاولة تنصير المسلمين . (١)

ثانياً / الهدف العلمي :

لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية . فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري ، والعلمي فعلها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته . فنكب الغربيون على دراسة الكتب الإسلامية ، فلم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات ، وترجموا عنها وأخذوا منها . (٢)

(١) مغلي . محمد البشير 'مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ' ص ٦٣

(٢) مطبقاتي . " الاستشراق " ص ١٠

ونستطيع أن نقول : إن الدافع العلمي تمثل في ثلاث اتجاهات على النحو التالي :

١/ البحث عن نقاط القوة في الدين الإسلامي ، وفي المسلمين للإفادة منها في نهضة الشعوب الأوروبية ، بناء على وصية علماء الغرب السابق ذكرها وخاصة عندما فتح المسلمون الأندلس ، وأقاموا فيها حضارة زاهرة ، واكبها نهضة علمية خارقة ، فحرص المستشرقون على أن ينهلوا من علوم الشرق الإسلامي ، ويقتبس من حضارته لينهض مثل المسلمين ، فكان لا بد من تعلم اللغة العربية ، والتلمذ على أيدي علماء المسلمين ، والرحلة إلى حيث يقيمون .

ولم يقفوا عند ذلك بل نقلوا إلى أهلهم في الغرب ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليهم ، ويتخلصوا من سيطرتهم ، وقد ظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم ، واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين . (١)

٢/ البحث للمعرفة واطلاع على حضارات الأمم وأديانها ، وثقافتها ، ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس ، والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أسلم من أبحاث كثير من المستشرقين . رغم وجود الخطأ فيها (٢)

(١) محمد . إسماعيل " الاستشراق " ص ٣٩

(٢) السباعي . مصطفى " الاستشراق والمستشرقون " ص ١٩

٣ / البحث لمعرفة الدين الإسلامي والعمل على نقله مشوهاً إلى الجماهير الأوروبية ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار ، ثم تطور الأمر إلى محاولة زعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس المسلمين وإثبات تفوق الحضارة الغربية . (١)

ثالثاً / الهدف الاقتصادي

رغبت الدول الأوروبية في مد مصانعها بالمواد الخام ، كما رغبت في تسويق منتجاتها ، فكان لا بد من التعرف على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ، ويمكن أن تكون لبضائعه أسواقاً مفتوحة ، فكان الشرق الإسلامي ، والدول الأفريقية والآسيوية هي الهدف (٢) ، فلجأت الدوائر الحكومية ، ومؤسسات الاستثمار الأجنبي إلى خيرة المستشرقين بالبلدان المعنية من أجل :

- ١ / الاستطلاع على إمكانية استغلال الثروات الباطنية ، والبشرية فيها
- ٢ / تنفيذ مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، والعمل كوسطاء ، ومستشارين ، ومترجمين ، ومنقبين ، مقابل رواتب مغرية . (٣)

(١) مغلي " مناهج البحث ص ٦٣

(٢) مطبقاتي " الاستشراق " ص ١٠

(٣) مغلي . مناهج البحث ص ٥٨

الهدف السياسي الاستعماري :

لقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين ، لخدمة أغراضه ، وتحقيق أهدافه في البلاد المستعمرة ، كما أن الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق ، وهكذا نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، وعمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم ، وكقناصل ، وتحسسوا على المسلمين ، وكان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية .

ومهما يكن من أمر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار ؛ لأن المعرفة بالأجناس الشرقية هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً إذ أن المعرفة تمنح القوة ، والمزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة . (١)
ومما يؤكد ارتباط الدراسات الاستشراقية بالأهداف السياسية الاحتلالية ، أن الحكومة الأمريكية مولت عدد من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً (٢)

(١) النعيم . ' الاستشراق في السيرة النبوية ' ص ٢١

(٢) مطبقاتي ' الاستشراق ' ص ١١

الهدف الثقافي :

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية ،
واللغات الأوروبية ، ومحاربة اللغة العربية ، وصبغ البلاد العربية
والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف فكر نابليون في استضافة خمسمائة من
المشايع ، ورؤساء القبائل في مصر ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا ، من
أجل أن يعتادوا على اللغة ، والتقاليد الفرنسية ، فإذا ما عادوا إلى مصر
نشروا ما اعتادوا عليه ، فنضم إليهم غيرهم . (١)

الأثر العقدي والاجتماعي للدراسات الاستشراقية :

أولاً / من أبرز الآثار العقدية للاستشراق : ١ / التنصير وإخراج المسلم
من دينه بالكلية ، أو دعوته إلى العلمانية ، وفصل الدين عن الحياة .
٢ / الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب ،
والسنة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات
الاستشراقية ، كما اهتموا بالرافضة الإسماعيلية وغيرها من الفرق ، ولا

(١) مطبقاتي " الاستشراق " ص ١٣

شك أن هذا الاهتمام يجعل من يطلع على مثل هذه الدراسات وهو غريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام .

٣ / الحرص على إنشاء المدارس ، والجامعات الغربية في العالم الإسلامي فمن ذلك : الكلية الإنجليزية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية ، والتي لها فروع في كل من القاهرة ، وبيروت ، واستنبول ، ودبي ، بالإضافة إلى كلية فكتوريا وهي عبارة عن مدرسة ثانوية الهدف منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ، ومواطنيهم المسلمين .

وقد أنتجت تلك المدارس جيل من المسلمين لا يصلون ، ولا يصومون ، ولا يؤمنون بالقرآن ، ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم .
ثانياً / الآثار الاجتماعية : أحدث الاحتلال بالتعاون مع الاستشراق تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد الإسلامية ، خاصة التي وقعت تحت الاحتلال الغربي .

ومن جهة أخرى أهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام ، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة ، كما شجع الدعوة إلى تحرير المرأة ، والتي ظهرت في كتابات قاسم أمين ، والطاهر الحداد ، ونوال السعداوي ، وهدى شعراوي ، وحنان الشيخ ، وفاطمة المرنيسي ، وغيرهن ممن تبين الأفكار الغربية .

ويقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في كافة المجالات ومجال المرأة بشكل خاص .

وأختم هذه الآثار بعبارة لبرنارد لويس وهو مستشرق إنجليزي يهودي قال :
(سنحسم التغريب في الشرق الأوسط من خلال ثلاث عوامل : إسرائيل ،
وتركيا ، والمرأة) (١)

ثالثاً / الآثار الاقتصادية : محاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وذلك عن
طريق : الترويج للفكر الاقتصادي الغربي ، ومن الآثار الاقتصادية تشجيع
الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها ، وإهمال قطاع
الزراعة .

رابعاً / الآثار الثقافية : حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة
الثقافية ، والفكرية في العالم الإسلامي ، فبعد أن كان القرآن ، والسنة ، من
مصادر المسلمين المهمة في جميع شؤون حياتهم أصبحت المصادر الغربية
تدخل في تكوين الفكر الثقافي لهذه الأمة سواء كان في نظرتها للقرآن ، أو
السنة ، أو للفقهاء . (٢)

(١) مجلة البلاغ العدد ١٥٢٣ الأحد شوال ١٤٢٣ هـ السنة ٣٣ (ص ٣٥) ،

مطبقاتي . " الاستشراق " ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦

وسائل المستشرقين

أولاً / تأليف الكتب :

وهي وسيلة قديمة لم تستطع المخترعات الحديثة ، في مجال الاتصال ، والإعلام أن تقلل من خطورتها ، ودورها الفعال في ترويج ، ونشر الثقافات ، والدعوات ، من هاهنا أهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة ، فعكفوا على تأليف الكتب ، وإصدار الموسوعات ، وإخراج المعاجم حتى صار لهم إنتاجاً ضخماً من الكتب ، والموسوعات التي تحمل أفكارهم ، وخلاصة آرائهم ، بشتى اللغات الأجنبية ، وبعض هذه الكتب ترجم إلى اللغة العربية .

وهذه الكتب قد احتوت على تزوير للحقائق وافتراء على الإسلام بأساليب واضحة ، وأخرى ملتوية . (١)

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون إصدار دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات ، ومصدر الخطورة في كونها مرجع لكثير من المسلمين على ما فيها من تحريق وخطأ للحقائق ، وفكرة إصدار دائرة المعارف جاءت من أن المستشرقين رأوا أن يجمعوا خلاصة أبحاثهم في كتاب جامع يتبعون فيه

(١) محمد . إسماعيل " الاستشراق ص ٧٩

منهج القواميس والمعاجم ، فكتبوا دائرة المعارف الإسلامية ، باللغات الأوربية الكبرى : الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية .

وكان هدفهم من إصدارها أن تكون مرجعاً يعتمد عليه المسلمون ، فتؤثر في تكوين الرأي العام الإسلامي عامة وخاصة ، وتكون أباطيل المستشرقين ، وانحرافاتهم تحت أعين الناس مألوفة مقررة ، ولن يدفع من شرها ما يوضح في ذيول الصفحات بالترجمة العربية ، من تعليق ، أو تصحيح . ذلك أن الشبهات إذا أثيرة لا يقر غبارها تماماً ، ولكن يظل شيء منه عالقاً بأجواء الفكر يؤذي مشاعر الناس وعقولهم . (١)

ثانياً / دور النشر الاستشراقية : فهي من وسائل إذاعة الفكر الاستشراقي في العالم الغربي ، وأحياناً خارجه ، والترويج لأبحاث ، وكتب المستشرقين عن الإسلام والمسلمين .

ثالثاً / المجلات : للمستشرقين عدد كبير من المجلات السيارة في كثير من بلدان أوروبا ، وقد زادت المجلات ، والدوريات الشرقية لدى المستشرقين على ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق تنشر بمختلف اللغات ، وبعضها بثلاث ، وتتناول مباحثها الشرق في لغاته ، وأديانه ، وعلومه ، وآدابه ، قديمها وحديثها .

(١) المرصفي . سعد " الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم ص ١١

رابعاً / كرسي التدريس في الجامعة : استخدمه المستشرقون لنشر أفكارهم ، وتحقيق أغراضهم ، وخاصة من خلال إنشاء قسم للدراسات الإسلامية والعربية بالجامعات الغربية .

خامساً / المؤتمرات : أتخذ منها المستشرقون وسيلة لطرح أفكارهم ، ونشر آرائهم ، وزيادة فرص التنسيق بينهم ، ويشترك في هذه المؤتمرات جمع غفير من المستشرقين من بلدان وجامعات شتى ، ناقشة مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في كافة جوانبه وخاصة ما يتصل بالدراسات الإسلامية .

سادساً / الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي : كمصر ، ودمشق ، وبغداد ، ويعتبرون التمثيل في هذه المجامع وسيلة لتحقيق أهدافهم ، حيث يعملون جاهدين على تحويل هذه الأهداف إلى مناهج بريقة تتدثر بعباءة البحث العلمي ، سواء في الدعوة إلى إحياء العاميات ، أو الدعوة إلى تعديل النحو العربي ، أو ما يسمى اللغة الوسطى ، أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها مجالات ترمي إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ، ولغة الكتابة .

سابعاً / استخدام التلاميذ : للمستشرقين ، والمبشرين ، تلاميذ من العرب والمسلمين ليقوموا بالترويج لأراء المستشرقين ، والمبشرين ، نيابة عنهم من غير نسبتها إليهم ، بل على أنها من إنتاج قرائح أولئك التلاميذ ، والعملاء ، وثمره اجتهادهم ، وتفكيرهم بينما هي في واقع الأمر صدى لأراء

وسموم خصوم الإسلام .

ثامناً / إرساليات التبشير في العالم الإسلامي : تقوم إرساليات التبشير في العالم الإسلامي بدور كبير في ترويج ، ونشر الفكر المعادي للإسلام الذي أنتجه الاستشراق ، وسود به المستشرقون آلاف الكتب ، والمجلدات .

والإرساليات : تعني جماعة من المنصرين يقومون بنشر المسيحية في إقليم معين وتضم الإرساليات عادة عدة مراكز يختص كل منها بالعمل في المدينة المعينة ، يطلق عليها مراكز التبشير ، كما توجد مراكز فرعية على مستوى القرى . (١)

(١) السباعي . الاستشراق والمستشرقون ص ٢٦ وما بعدها ، محمد .
إسماعيل " الاستشراق " ص ٦٧ وما بعدها ، السايح . أحمد " الاستشراق في
ميزان نقد الفكر الإسلامي " ص ٥٥ وما بعدها